

إستراتيجيات تملك الفضاءات العامة في الأحياء الحضرية الجديدة في الجزائر

Strategies to take Over Public Spaces in Algeria's New Urban Neighbourhoods

أحمد مسعودي¹، حسام الدين شعلان²MESSAOUDI Ahmed¹, CHALANE Houssameddine²1 جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - (الجزائر)، ahmed.messaoudi@univ-tlemcen.dz2 جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - (الجزائر)، houssameddine.chalane@univ-tlemcen.dz

تاريخ النشر: 2022/07/14

تاريخ القبول: 2022/03/31

تاريخ الاستلام: 2022/01/15

الملخص: يهدف هذا البحث إلى الوقوف على أهم الاستراتيجيات (الخفية والمعلنة) التي يقوم بها الأفراد من أجل الاستيلاء على الفضاءات العامة، من خلال تحليل وشرح بعض أشكال وطرق هذا التملك كممارسة اجتماعية مخططة تتم عن عقلانية (فردية وجماعية) تؤثر بشكل أو آخر على البيئة الحضرية. لقد تم الاعتماد بشكل أساسي على تحديد مدينة تلمسان كم منطقة حضرية لأخذ مجموعة من الصور التي تدل على أشكال وطرق الاستيلاء على الفضاء العام ومحاولة الوقوف على المعاني التي يقدمها الأفراد لهذه الممارسات الاجتماعية.

يحاول البحث التوصل إلى أن المخططات العمرانية الجديدة التي اعتمدتها الدولة الجزائرية بمختلف الصيغ السكنية للفضاء على أزمة السكن، وما نتج عنها من اختلال اجتماعي دفع بالكثير من الأفراد إلى محاولة تملك الفضاءات العامة من أجل إنتاج أو إعادة إنتاج الاستراتيجيات والممارسات الاجتماعية لكيفية استغلال هذه الفضاءات أو تحويل هدفها النهائي.

الكلمات المفتاحية: الأحياء السكنية الجديدة، الفضاءات العامة، التملك، الاستراتيجيات، العقلانية.

Abstract: The aim of this research is to identify the most important (hidden and asserted) strategies of individuals to take control of public spaces, by analyzing and explaining certain forms and methods of appropriation as planned and rational social practice (individual and collective) which, in one way or another, affects the urban environment.

The choice of Tlemcen as an urban area to take a range of images, which show the forms and ways of this appropriation of public space, and try to understand the meanings that individuals give to these social practices.

The results concluded that the new urban plans adopted by the Algerian State, with various housing formulas, to eliminate the housing crisis, and the resulting social imbalance, have prompted many individuals to try to take ownership of public spaces, in order to produce or reproduce social strategies and practices for exploiting these spaces or transforming their ultimate purpose.

Keywords: New Residential neighborhoods, Public spaces, Property, Strategies, Rationality.

1. مقدمة:

إن زيارة أي مدينة والتجول في شوارعها وأحيائها تجد المنتجات المعمارية هي واحدة من المنتجات الثقافية وإذا كانت المدينة نموذجاً للحياة الاجتماعية الإنسانية فإن العمران يعكس المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي والعلمي والسياسي لمختلف الشعوب، وانطلاقاً من قول Jean-Jacques Rousseau (جان جاك رسو 1712 - 1778) أن المنازل تشكل المدينة وأن المواطنين يشكلون الحاضرة (العقد الاجتماعي) فإن تصرف البشر هو الذي يظهر من خلال تاريخ المدن وتاريخ الحضر على السواء، بتملك وإعادة تملك الفضاءات المدنية والتكيف معها.

وقد يلاحظ صراعات داخل الوسط الحضري من حيث السياسات العمومية والمنتجات المعمارية حيث أصبحت تطرح قضايا التنمية في مجال البناء ومدى ملائمة لخصائص المجتمع وتطلعاتهم، هذا ما يؤدي إلى عدم الرضا بهذه المنتجات المعمارية المقدمة من طرف الدولة، فظهرت ظاهرة اغتراب العمارة الجزائرية وعدم استقرار النسيج العمراني، وتفاقم المشكلات النفسية والاجتماعية وظهور الآفات الاجتماعية التي تهدد استقرار المدن.

ومما لا شك فيه أن الأوساط الحضرية الجزائرية تعاني هي الأخرى كباقي المدن العالمية من تعدد المشكلات الحضرية وتنوعها، من بينها الاجتماعية، الاقتصادية، البيئية والإدارية والإنسانية، حيث أخذت أبعاداً خطيرة تنبئ بمزيد من التردّي والتدهور لحياة الأوساط الحضرية، ومن بين هذه المشكلات ظاهرة الاستيلاء على الفضاء العام التي أصبحت منتشرة ونراها أينما ذهبنا.

فالفضاء العام Espace Public يكتسي أهمية كبيرة في المجمعات الحضرية وذلك بالنظر إلى مجموعة الوظائف التي يؤديها، حيث سعت الدولة إلى حمايته من خلال سن بعض القوانين التي تبين حدوده وعقوبات التعدي عليه، وبالتالي يكون الأمر واضحاً للأفراد، لكن يلاحظ أنه يتم التعدي على الفضاء العام واقتطاع أجزاء منه من طرف السكان وتحويلها إلى ملكية خاصة، وهذا باستغلال الأرصفة وغيرها لإضافة أجزاء جديدة إلى المنازل -حديقة... إلى غيرها من الإضافات والتعديلات، وحتى في العمارات يلاحظ استغلال للأماكن الفارغة لأغراض شخصية مثل الأماكن الفارغة في محيط العمارات وكذا الأماكن الموجودة أمام الشقة أو تحت السلالم... هذا ما نتج عنه تشوه في المنظر العمراني من الناحية الجمالية والوظيفية للفضاء العام، وعليه أصبح الفضاء العام مطمع لكل شخص مع اختلاف الأسباب والدوافع التي تجعل الأفراد يقومون بهذا الفعل نذكر منها الاجتماعية - الاقتصادية - الشخصية...

من خلال ما سبق يتبادر في الذهن الأسئلة التالية:

هل يتم الاستيلاء على الفضاء العام من طرف الأفراد في الوسط الحضري في ظل وجود إستراتيجية معلنة أو مخفية؟

ماهو تأثير هذه الممارسات المتمثلة في تملك الفضاء الحضري على شكل هذا الأخير، وماهي تأثيراته على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد؟ وكيف يتم استغلال هذه الفضاءات في الحياة اليومية؟

2. ضبط المفاهيم:

في محاولة للإجابة على التساؤلات السابقة نحاول في البداية ضبط المفاهيم الأساسية التي توطر السياق العام لهذا المقال.

1.2 مفهوم الفضاء العام:

في علم الاجتماع الحضري يشير المصطلح إلى الأماكن العامة التي هي عبارة عن فضاءات تلاقى اجتماعية تنظمها مجموعة من الطقوس وتميزها مجموعة من الممارسات (Belbahri, 2019, p. 9)، أما من الناحية الجغرافية والمعمارية يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى المساحة الفعلية التي تحتوي على جميع الأماكن في الفضاء العام، والتي يمكن الوصول إليها بحرية ومجاناً ويحتفظ به لهذا الغرض، ويقابله جزء في شبكة المرور والساحات والشوارع والمساحات الخضراء (Belbahri, 2019, p. 10).

إذن فالفضاءات العامة هي جميع المساحات التي تديرها الدولة أو مخصصة للاستخدام العام، ويمكن الوصول إليها بحرية ويمكن لأي شخص الاستفادة منها، وليس من أجل الربح، ويشمل ذلك الشوارع والمساحات المفتوحة والمباني العامة. (Unies, 2015, p. 40)

2.2 مفهوم الاستراتيجية:

الإستراتيجية بالنقل الحرفي للكلمة الإنجليزية Strategy، هي خطط أو طرق توضع لتحقيق هدف معين على المدى البعيد اعتماداً على التخطيط والإجراءات واستخدام المصادر المتوفرة في المدى القصير والبعيد، ويعود أصل الكلمة إلى التعبير العسكري ولكنها الآن تستخدم بكثرة في سياقات مختلفة مثل إستراتيجيات العمل إستراتيجيات التسويق ... الخ (الفراء، 2019، <https://cutt.us/sTXda>).

Henry Mintzberg (هنري منسبيرج 1939 -) بين التخطيط الاستراتيجي معتبراً إياه عملية تحليل تهدف إلى برمجة الاستراتيجيات المحددة أنفاً بحيث يكون المخرج النهائي لتلك العملية هو الخطة، وبين التفكير

الاستراتيجي معتبراً إياه عملية تركيب تعتمد على الحدس والإبداع ويكون مخرجها النهائي هو تصور متكامل للإستراتيجية" (Abdulkareem Aswad Yaseen, 2013, p. 32).

3.2 مفهوم العقلانية:

العقلانية في السوسيولوجيا تشير إلى الدوافع الواعية التي تدفع الفرد إلى التصرف بشكل معين، وعليه هي عقلانية شخصية ذاتية، بهذا المعنى يمكن لعقلانيين أن تكونا متناقضتين، وبالتالي فالفعل العقلاني هو الفعل الذي يبحث عن الوسائل الأكثر فعالية من أجل بلوغ الأهداف المنشودة، "فلقد أطلق ماكس فيبر اسم " الترشيح العقلاني" على تنمية العلوم وتطوير التقنية ونمو البيروقراطية، ويعني به تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية انطلاقاً من مبادئ الكفاءة المرتكزة إلى المعرفة التقنية" (غدنز، 2015، ص. 72).

4.2 مفهوم التملك:

إن ملكية الأرض لا تعني الحق في البناء دون حدود، مما يحرم مالك الأرض من السيطرة على هذا المنتج الذي اشتراه بخلاف السلع الأخرى، وهذا بسبب اعتبارات المصلحة العامة المدونة وفقاً لمعايير القانون العام، وبالتالي فإن مالك الأرض يعتمد على السلطة العامة لتحديد الحجم المبني المصرح به (Pierre Bergel, 2005, p. 21).

مصطلح التملك يشير إلى كيفية تحديد شيء ما والاستحواذ عليه لاستخدامه في عدة أشياء، كما يميل مصطلح التملك إلى اتخاذ طابع غامض ومتعدد الأبعاد، حيث أنه في مجال التخطيط المكاني لا توجد نظرية عامة تشرح المصطلح تعطيه معنى فريداً، ولهذا نجد معناه يختلف باختلاف المجالات العلمية، فمثلاً في العلوم القانونية يرتبط معناه بمعنى الملكية ويفترض أخذ الحيطة القانونية (Stéphanie Bauregard et autres, 2012, p. 2). Adapté (2012)، إذن فمسألة تعريفه تتعلق بالمكان والمعنى والاستخدامات لكلمة "التملك" في العلوم الاجتماعية وتطبيقها الفعال أو المحتمل على الفضاء (Fabrice Ripoll et Vincent Veschambre, 2005, p. 2)، ويمكن تعريفه بأنه الاستيلاء على الفضاء العام من خلال استخدام عدة استراتيجيات (Fabrice Ripoll et Vincent Veschambre, 2005, p. 4)، كما هو الاحتلال غير القانوني على الفضاء الحضري عن طريق غزو الأراضي الحضرية (Jean-Marc Fournier, 2005, p. 2)، فهو يعتبر مفهوماً قانونياً وأنثروبولوجياً غنياً بالفروق الدقيقة التي توفر غالباً فئات من التحليلات العملية للمخطط الحضري وعلماء الاجتماع، فالفرق بين الفضاء العام والخاص هو واحد من هذه الفئات من التحليل، والذي تظهر فيه مجموع من الظواهر منها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (Habracken N. J, 1998, p. 359).

التعريف الإجرائي: التملك هو محاولة إضافة جزء إلى الملكية العقارية البيت بطريقة غير قانونية، وتكون هذه الإضافة على حساب الفضاء العام طريق-رصيف... أو هو الاستيلاء على أجزاء من الفضاء العام "أرصفة-طريق.. وإضافتها إلى المنزل والملكية الخاصة. كذلك هو الاستيلاء على شيء مملوك للغير بطريقة احتيالية بقصد ذلك الشيء.

3. الدراسات السابقة

1.3 الدراسة الأولى: لمحمد سعيد لعكابي ونادية جلال

يتحدث هذا المقال عن المنشآت الكبيرة للمناطق السكنية الحضرية التي عرفها جنوب مدينة تيزي وزو، والتي تتميز ببناء أبراج عالية وحواجز وأسوار لا تمت بأي صلة للفضاء الحضري، وعن العلاقة التي ظهرت بين المواطنين والفضاء العام الجديد، حيث أنها تتميز بعدم وجود هيكله للأرض ولا يوجد تنظيم واضح للفضاءات، ومميز هذه المنطقة، الأنشطة التجارية التي غيرت شكل المدينة، وأصبح كل فرد يرسم حدود فضاءه ويحاول إضافة الشرعية على هذا التملك نظرا لغلاء سعر العقار وأن أغلب الشقق لا تراعي خصوصيات الفرد الجزائري لذلك يلجأ إلى التغيير في تصميمها.

لقد ركزا على السكان الذين يسكنون في الطابق الأرضي حيث أن معظمهم قد أخذوا مساحة من الفضاء العام المجاور لهم وإضافتها إلى ملكيتهم الخاصة من خلال تسييجها أو بنائها وهنا يظهر الاختلاف في استخدامات هذه المساحة، " حيث هناك من يستخدمها كحديقة وآخرون كمكان لركن سياراتهم، أما البعض يقدمون حجة أنهم قاموا بهذا لحماية الخصوصية ولمزيد من الحرية الشخصية، أو يستخدمونه كمكان للعب الأطفال نظرا لخوف أهلهم عليهم خصوصا أنه لا توجد فضاءات للعب الأطفال أو أنها غير مناسبة ولا تحتوي على الأمان التام، كما أن البعض حول هذا الفضاء إلى محل تجاري غير رسمي ليحقق دخلا ماديا، ويكون متفاوض عليه من قبل المواطنين بسبب ضعف التنمية وعليه هي عملية تشاركية بين عدد من المواطنين لتملك هذه المساحات الخارجية المجاورة للشقة، كما أنه ليس للفضاء العام حدود مؤطرة جيدا حيث تتعدد الاستخدامات ووظيفته، مثال على ذلك أن بعض الأماكن في النهار تكون مخصصة للعب الأطفال أما في الليل تصبح موقف للسيارات. بالتالي كل هذه المشاكل تجعل السكان غير راضين تماما ويشعرون بعدم الراحة.

نتائج الدراسة

- الانتقال إلى نوع السكن المنفتح والجماعي الحديث غير في الممارسات والسلوكيات فيما يتعلق بالفضاء.
- بالنسبة لطرق ملكية الإسكان، فهي تعددية وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمر والجنس والفئة الاجتماعية المهنية للسكان.
- سمح الفضاء العام بالتحقق من أن التملك يتم وفقاً للمخططات العقلية التقليدية. ينتشر بشدة ضم الفضاء الخارجي لعدة أغراض "تجارية -وظيفية- جمالية..". (Mohammed Said lakabi et Nadina Djelali, 2011, pp. 1-14)

2.3 الدراسة الثانية لصمود بوزيان:

في هذا المقال يقدم الباحث تحليلاً وتفسيراً لفعل تملك الفضاءات الحضرية واستخدامها، مع إيلاء اهتمام خاص لطريقة العيش والعلاقة بين الفضاء الخاص والعام، حيث تتعكس هذه الممارسات في تكيف المساكن لاحتياجات سكانها، من خلال التحايل على المعايير الرسمية واستخدامها لعدة استراتيجيات للتملك.

حيث تطرق إلى نظرة الفرد اتجاه هذه الفضاءات العامة والتغير الاجتماعي والاقتصادي الحاصل داخل المجتمع الجزائري وكذا التنشئة الاجتماعية والعلاقة بين كل هذه العوامل التي أدت إلى ظهور هذه الممارسات غير الرسمية، إضافة إلى أن إنشاء المناطق السكنية الجديدة في المناطق الحضرية مستوحى من النموذج الغربي الذي لا يراعي الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للفرد الجزائري، وعليه لجأ الأفراد لعدة ممارسات لتلبية هذه الاحتياجات المتنوعة، وذكر عدة أشكال منها هي:

- تعديلات مست فضاء الشقق لملائمة حجم العائلة، إضافة إلى البيع والشراء في الشقق بطرق غير قانونية .
- عندما يكون السكن في الطابق الأرضي فإنه يتم تحويل أو إضافة فضاء له لكي يتحول إلى مساحة للنشاط التجاري مثل "قهوة- دكان- نجار - ميكانيكي..." وحماية هذا الأخير بأبواب من الحديد وتحصينه لحمايته من اللصوص، وعليه أصبح ملكية خاصة بعد أن كانت عامة. وبالتالي هي إستراتيجية اقتصادية عقلانية "ويعطي الأدلة بأنه غير مخطئ"

- من جهة أخرى تحدث عن الإسكان الفردي الذي كان المستهلك الأكبر للفضاء داخل المدينة لكن دون حل الأزمة، وظهور عدة تجمعات غير رسمية بأشكال متنوعة مرتبطة بالقدرة الاقتصادية للفرد، الذي نتج عنه عدة فروقات في الشكل، يرجع الباحث هذا إلى الرأسمال الثقافي للمجتمع الجزائري. حيث أصبح الاستلاء على الفضاءات العامة أمراً عادياً كما يبقى للأفراد خيار بين الإكراه والعفو، بالرغم من السياسات التي تتبعها الدولة في بعض المرات مثل "الهدم والإخلاء والترحيل "

خلص في الأخير إلى مايلي :

- الحاجة إلى علاقة ثقافية بين الرسمي وغير الرسمي، التي هي تعبير عن الحالة الانتقالية التي يقع فيها المجتمع الجزائري بين التقليدي والحداثة والانتقال إلى اقتصاد السوق.
- إن هذه الممارسات غير الرسمية تهدف الاستفادة من الفضاءات العامة والتي تظهر لحل مشكلات معينة مثل " الإسكان - العمل..."

المدينة التي اقترحها صناع القرار والفنيون غير مرفوضة، ولكن تم إعادة تشكيلها عن طريق تغيير الممارسات الاجتماعية واستخدام عدة استراتيجيات لكي تلبي احتياجات الأفراد. (Bouzian Semmoud, 2009, pp. 101-118)

3.3 الدراسة الثالثة لنورى صمود:

حيث نتحدث " نوري صمود" عن العلاقة بين الحراك الاجتماعي للأفراد، ونمط العمران عبر التاريخ، وضرورة تخطيط المنزل على حسب الأفراد وعلى حسب المستوى الاقتصادي. وإن تحققت الثروة للأسر الفقيرة فمشروع البناء يظل قائما، ومنه يريدون بناء منازلهم على حسب شكل منازل الأثرياء ليعكسوا مكانتهم الاجتماعية، هذا إن لم تتح لهم فرصة الانتقال من هذا المكان، أو قد يلجئون للبحث عن طرق غير رسمية لتملك المجال وبناء مساكن على حواف المدن، ومنهم من يبني منزله لغرض كراء أجزاء "القراج" منه أو فتح تجارة هذا لزيادة الثروة وضمان الحراك الاجتماعي، ففي نظرهم هذا جزء من التحضر.

بالتالي تطورت المناطق العشوائية في ضواحي الجزائر العاصمة بدمج النشاط الاقتصادي سمح بإدماج هذه الأراضي، ومنه كان لابد على الدولة أن تنظم هذه الأحياء وإدخالها النطاق القانوني وهيكل الطرق والمساكن وتحسين الجانب الحضري لهذه الأحياء. وهذا التنظيم كان نتيجة لإستراتيجية الأفراد مثل (المطالبة بالطرق والأرصدة -شبكة المياه وقنوات الصرف الصحي -الكهرباء...) ، كما تكون هذه المطالبة عبر تكوين جمعية الحي أو عبر أشخاص لهم نفوذ في الدولة وغيرها من الأدوات، وعند تقصير الدولة في بعض هذه المطالب يلجؤون إلى المساهمة بمالهم الخاص لإكمال هذه الأعمال، وتسعى العائلات الثرية لتحسين صورة المنطقة تماشيا مع مكانتهم الاجتماعية في السلم الاجتماعي، إذن فإن هذه الممارسات تعبر عن عملية تشكيل الشخصيات المحلية التي تتحول لأن تكون سلطة الشعب من خلال الشبكات غير الرسمية. (N. SEMMOUD, 2001, pp. 29-38)

4. المقاربات النظرية لمسألة تملك الفضاءات العامة:

حاولت الكثير من الدراسات ومن خلال عدة مقاربات نظرية تسليط الضوء على مسألة تملك الفضاء العام بغية فهم وشرح وتفسير السلوك الاجتماعي لتمكن الأفراد للفضاءات العامة.

1.4 نظرية علم النفس المحيط Gustave-Nicolas Fischer (لغوستاف-نيكولاس فيشر 1941-):

يدرس علم النفس البيئي العلاقة بين الفرد وبيئته، ودور البيئة وتأثيراتها الكثيرة على سلوك الإنسان، إنه يسلط الضوء على أهمية التجربة الاجتماعية التي تتمتع بها في العلاقات مع البيئات المختلفة، هذه العلاقات ليست فقط وظيفية ولكن أيضاً عاطفية أو خيالية أو رمزية (Lucie TORTEL, 1998, p. 6).

ظهرت في السبعينات حيث يعالج هذا الاتجاه البيئة الطبيعية بالتركيز على الفرد ويستخدم البعد الاجتماعي باعتباره مركز لتحليل البيئة البشرية، وسلوك الأفراد وعلاقتهم مع الآخرين. كما يلعب الفضاء دور الإطار الاجتماعي وبالتالي هو نتيجة للتدخلات التي تؤثر فيه، في حين أنه من ناحية أخرى يشكل سلوكيات ونمط تفاعلات الأفراد.

التملك عند فيشر: هو السلوك الذي يترجم علاقة السيطرة المادية أو الإدراكية على مساحة معينة.

استعمالات الفضاء هي مجموعة من وسائل العمل المستخدمة في بناء الفضاء، ويمكن القيام بذلك من خلال العلامات والرموز، وبهذه الطريقة يكشف الأفراد عن استخداماتهم للفضاء، كما أن نوع الممارسات يختلف من مكان إلى آخر باختلاف المساحة وخصائصها، والوسائل المتاحة وكذلك الأفراد (Ely Ane Montmarquet, 2016, pp. 111-112).

يعتبر تعريف فيشر لعلم النفس الاجتماعي للمحيط فعالاً لأنه يشمل الجوانب الرئيسية للاستيلاء: "التمسك الفوري" و"أشكال وأنواع التدخل في الفضاء" و"علاقة التملك والمرفق" وبالتالي، فهو "نظام للتحكم في الموقع يشمل أشكال وأنواع التدخل على الفضاء التي تترجم إلى الحياة والتعلق".

العلاقة بين الفضاء والسلوك البشري تم تناولها لسنوات عديدة من خلال تخصص في العلوم الإنسانية: علم نفس المحيط. يقدم هذا الكتاب المفاهيم الرئيسية لهذا التخصص ويقترح تحليلاً نفسياً لأماكن مختلفة للوجود: الفضاءات السكنية، والفضاءات المؤسسية، وفضاءات العمل. ويوضح أهمية ودور العوامل البيئية المختلفة (المعدات، الضوضاء، الكثافة، الخ) على سلوك الإنسان ونوعية الحياة.

2.4 نظرية تأثير التهيئة على تملك الفضاء عند Bonnin GAËL (بونين جايل):

يحاول بونين أن يظهر في دراسته عن العلاقة بين التخطيط المكاني لمحلات البيع بالتجزئة والاستراتيجيات لكسب أو امتلاك عدد أكثر من الزبائن، ودرجة انفتاح الفضاء والعناصر المشكلة له والتي يمكن أن تؤثر على عملية التملك، حيث درس هذه العملية في المدن السياحية فاستنتج بأن التنمية تؤثر على المدينة ويستخدم مصطلح **المتاهة** لوصفها، حيث يواجه الأفراد نظاما من الإجراءات المحتملة التي تدفعهم إلى اكتشاف الفضاءات والمساحات داخلها وفقا للخيارات التي تقدمها، وعليه يحدد الطريقة الأنسب للتملك.

من ناحية أخرى يشير إلى أبعاد التملك عند فيشر الذي اعتمد على بعدين هما:

1. من ناحية ممارسة السيطرة على الفضاء

2. هامش المناورة التي يوفرها إطار العمل وتنظيم الفضاء.

كما تحدث عن الانقطاعات في هذه العملية التي تسمح للمتملك بتحديد ما يعزز هذه الممارسة في المنطقة المعنية، ويبحث عن المصلحة أو الرغبة في الاكتشاف. كما يصر على وجود علاقة بين **الاستراتيجيات المكانية والملكية**، وبالتالي فإن كل العوائق التي تفرضها التهيئة العمرانية والقوانين التي تصاحبها، تؤدي بالأفراد إلى التقييد عن فرص أو ممارسات جديدة من أجل تملك الفضاء العام (Ely Ane Montmarquet, 2016, pp. 119-122).

كما يجب أن لا نغفل على جانب آخر في دراسته عن الممارسات الاجتماعية داخل الفضاء العام ألا وهي **الازدواجية** بين الفضاء الخاص والفضاء الخارجي الذي أشار له الطبيب النفسي **Pierre DOSDA** (بيار دوسدا) الذي يشير إلى جانب تأثير العوامل الثقافية، حيث يبدو أن هناك عوامل أخرى ضرورية في إدراكنا للفضاء والتمكن من التعامل مع مسألة الداخل والخارج، أي مساحة الفضاء الخاصة في مقابل الفضاء العام، حيث أن خارج هذه الازدواجية بين الأماكن الداخلية والخارجية هي جزء من استمرارية تجربتنا الداخلية وشعورنا بالبيئة الخارجية وهي مستمدة من ما تم بناؤه في مرحلة الطفولة (Lucie TORTEL, 1998, pp. 13).

5. الدراسة الميدانية:

لقد أمكن استخدام الصور وبعض المقابلات من فهم أنواع التدخلات الرئيسية في الإطار المبني وغير المبني والسلوكيات الفردية والجماعية للسكان ومواقفهم من هذه الممارسات على الفضاءات العامة وتحويل استخدامها.

يتجسد التدخل في البيئة المبنية من خلال التغيير أو إعادة تنظيم الفضاء المأهول وفقًا للدوافع والوسائل المادية والمالية للسكان، من خلال تعديل الشقق والواجهات والشرفات والمباني، إلى التعدي على الملك العام وتحويله للاستخدام الخاص، مع تحديده وتمييزه بوضع علامة على المنطقة من خلال سياج وغيرها من العلامة الخاصة، حيث يعد إنشاء الحدائق أو الساحات أو المرائب من خلال ضم الفضاء المجاور للسكن وتوسيع الفضاء الخاص إلى الخارج ممارسة شائعة، كذلك من الشائع أيضًا أن يتعدى السكان حتى على الرصيف وموقف السيارات والطرق، من خلال تملك وتحويل استخدام الفضاءات العامة، وذلك بالرغم من وجود نصوص تحظر التملك والتعدي على عليها.



الصورة رقم 01: توضح تملك الفضاء المجاور من أجل إنشاء حدائق (Amara Hima et al, 2018, p. 272)



الصورة رقم 02: توضح تملك الفضاء المجاور من أجل إنشاء حدائق (المصدر: تصوير الباحث 2021)

من خلال الصور يتضح أن الفضاءات العامة القريبة من الفضاءات الخاصة يمكن أن تصبح ملكية خاصة من خلال الاستيلاء عليها وتملكها، وذلك بضم الأرصفة والمساحات الفارغة واستخدامها كحدائق وهذا ما توضحه الصور، وبالتالي إنشاء الحدائق في هذه الحالة يعتبر شكلا من أشكال التملك هدفه ترسيم الحدود، مما يؤدي إلى

صراعات بين السكان أنفسهم وحتى مع السلطات، لكن من جهة أخرى يعتبر الأمر إيجابيا وذلك من خلال المحافظة على الطابع الجمالي وكذا نظافة المحيط والمنظر، كما "يلاحظ أنه يمكن أن يمتد الفضاء الخاص ببساطة إلى الفضاءات العامة المهجورة وخصوصا المجاورة للسكن، من خلال ضم الأرصفة وترتيبها على شكل حدائق أو مواقف للسيارات أو أماكن الأنشطة المنزلية، مع التأثير الإيجابي لثني سكان الطوابق العليا عن إلقاء القمامة، "يكشف هذا الشكل من التملك على الفضاءات العامة المجاورة عن "تطابق مع مساحات السكن الفردي بالإضافة إلى تمييز الأراضي الخاصة في المجمعات السكنية" (Mohamed Ghomari, 2001, p. 63) .



الصورة رقم 03: توضح تملك الفضاء المجاور لأجل زيادة مساحة المسكن (المصدر: تصوير الباحث 2021)

من خلال هذه الصورة يلاحظ أن هناك شكلا آخر من التملك وإضافة جزء من الفضاء العام إلى المسكن لإستعماله كموقف للسيارة أو ضمه لغرفة وغيرها من الاستعمالات وأغلب من يقوم بذلك هم سكان الطابق الأرضي ويتحججون "بحرمة البيت" للقيام بهذه الممارسات في ظل السكوت من السلطات العمومية، لكن السبب الرئيسي من خلال الاستطلاع هو توسيع مساحة المنزل لأن أغلب السكان غير راضون عنها نظرا لعدم تلبية حاجات العائلة خصوصا إن كان عدد أفرادها كثير.

من جهة أخرى، هناك دراسات حول الأمراض الحضرية التي قامت على افتراض أن المدينة تشكل عاملا مهما في اختلال التوازن النفسي للأفراد، وأن نمط العمران يعمل على إنتاج السلوك المنحرف والأمراض العقلية ويزعزع العلاقات الاجتماعية. يقول Georg SIMMEL (جورج زيمل 1858 - 1918): "... إن الاكتظاظ البيئي الذي يميز هذه الأماكن (المدن الكبرى) الغنية والاصطناعية، حيث تنقلص المساحات الخضراء ويغلب عليها الطابع العمودي، تشكل - حتى من خلال تنوعها- مصدر إزعاج وقلق للسكان... هذا الاكتظاظ يشكل عائقا أمام

حريتهم، فهم لا يتحكمون في أي شيء... ولهذا فإن سكان المدينة يرغبون (يحملون) بالهرب للريف... (Paulet, 2006, p. 243).

فالمشكل الذي يجب الإشارة إليه، هو صعوبة الجمع بين الرفاهية والحداثة التي توفرهما المدينة - والتي من الصعب التنازل عنها بالنسبة للسكان الحضري- وفرص الراحة والهدوء التي يتوفر عليها الريف، في جمال الطبيعة الخضراء ونقاوة الهواء ونعومة الشمس... حيث تنفتح النفس على الترفيه والتسلية وممارسة الرياضة ورعاية الحديقة الصغيرة وهو أمر شبه مستحيل أن تحققه مخططات التهيئة العمرانية في المدينة (Farid Marhoum, 2009, p. 157).



الصورة رقم 04: توضح تملك الفضاء المجاور لأجل نشاط تجاري (المصدر: تصوير الباحث 2021)

يتم إضافة وتحويل الفضاء المجاور للطابق الأرضي إلى متجر دون رخصة، بغية تلبية حاجات الأفراد وتقريبها منهم، ومن جهة أخرى يعتبر كمصدر دخل للفرد الممتلك، فبعض الأفراد يستغلون عدم وجود بعض الخدمات ويقومون بتلبيتها للسكان على حساب الفضاء العام فنلاحظ وجود نوع من التسامح وغمض النظر من طرف السكان والسلطات العمومية، ويشعر هؤلاء بالرضى نظرا لما يقدمونه من خدمة للسكان بالرغم من أنهم مخالفون للقانون هذا ما سمح بتوسع هذا النشاط في عدة أحياء سكنية.

وعليه نتحدث نوري صمود عن تملك الفضاء من قبل الأفراد الذي يعطي المواجهة في الفضاء بين ممارسات التخطيط الحضري وتلك الخاصة بين السكان والعلاقة الجدلية بين شروط إنتاج واستخدامات الفضاء، والتي تسمح

بالوصول إلى أشكال إعادة التهيئة الاجتماعية للفضاء، وهذه الظاهرة تعكس صدى عملية تحديث العادة التي وصفه Pierre Bourdieu (بيار بورديو 1930-2002)، وعليه فإن الفرد يمارس عدة استراتيجيات لتكيف السكن أو تحديثه وفق حاجياته ويطالب بالاندماج في المدينة وخلال عملية التحديث تظهر عبقرية لملائمة السكن مع الخصائص المكانية والاجتماعية، إذن فإن الوسط الاجتماعي هو الذي يطور أشكال التملك. مثال على ذلك الأغنياء لهم وسائل أكثر للقيام بهذه العملية (Nora Semmoud, 2007, pp. 163-180).

6. نتائج الدراسة

تم التوصل إلى وجود عدة أسباب لظهور وانتشار ظاهرة تملك الفضاء العام أثارها على الوسط الحضري وهي كالتالي:

- تدهور المنظر الجمالي للمدن وتغيير وظائف بعض الفضاءات العامة.
- نشوب عدة صراعات بين المواطنين مما يسبب في حالة من عدم الاستقرار داخل المجمعات السكنية.
- أن التملك ناتج عن غض نظر السلطات العمومية عن هذه الممارسات، هذا ما أدى إلى اتساع رقعتها.
- عدم استناد المخططات الحضرية على دراسات جدية وإحصائيات مضبوطة وكذا عدم إشراك السكان والمجتمع المدني في وضع هذه المخططات والاستعانة بخبراء لا يلمون بخصائص المجتمع الجزائري، هذه الظروف أنتجت مدنا مليئة بالمشاكل العديدة.
- ترجع هذه الممارسات إلى غياب الرقابة الإدارية، حيث إن القائمين عليها لا يقومون بها على نحو صحيح وجدي، إذ أصبحت مصدر للمال يقدمه المخالفون كضريبة السكوت عنهم وحتى وإن طبقت فإنها تطبق بنسب متفاوتة، فهذه القوانين التي تجرم من يقوم بهذه الممارسات تبقى حبيسة الأوراق.
- تكوين تصورات خاطئة حول مفهوم الفضاء الخاص والفضاء العام وعليه يصبح مطمع للأفراد هذا ما يوجب ترسيم حدود واضحة لحمايته من هذه الانتهاكات.
- شكل وظيفة الجزء المضاف يتوقف على ظروف الفرد وحالته المادية. حيث يكون متناسق مع المبني وشكله جميل إلى حد ما عند من يملك المال والعكس عند محدودي الدخل.

7. خاتمة:

يمكن القول بأن الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للأفراد تؤدي بهم إلى القيام بعدة ممارسات بين ما هو رسمي أو غير رسمي ومن بينها تملك الفضاءات العامة الحضرية، وهذا من أجل تلبية هذه الحاجات بحيث يلاحظ التملك المباشر والجريء لهذه الفضاءات بالرغم من وجود الرقابة من طرف السلطات العمومية، حيث يمكن اعتبار

مثل هذه الممارسات كحلول لمشاكل عديدة مثل (السكن، العمل...)، في ظل عدم قدرة السلطات على تنظيم مجال العمران في الجزائر وعدم قدرتها على تلبية تطلعات المواطنين في ظل خصوصيات المجتمع والفرد الجزائري، مما يجعله يقوم ويطور عدة استراتيجيات من أجل إشباع حاجاته.

فتمط الإسكان والمدينة الذي تم تشييدها من طرف القائمين عليها لم يتم رفضها كليا بل يتم إعادة تشكيلها وتكييفها على حسب أفراد المجتمع من خلال عدة ممارسات وفق الظروف التي تفرض عليهم، وإعادة صياغة التخطيط الحضري والعمراني وفق متطلباتهم واستراتيجياتهم المتعددة خصوصا سكان العمارات عامة وبالأخص سكان الطوابق الأرضية يلجئون إلى تملك الفضاءات العامة المجاورة لشققهم لأن أغلبها لا يوفر المساحة الكافية لأفراد العائلة، وهذا يؤدي إلى اختلالات وصراعات داخل الوسط الحضري.

إقتراحات وتوصيات:

- ضرورة تفعيل بشكل واضح الرقابة الإدارية للسلطات العمومية.
- العمل على بناء ثقافة حضرية وعمرانية لسكان المناطق الحضرية يساهم فيها مختلف الفاعلين الاجتماعيين.
- عدم التهاون من طرف السلطات أثناء وضع المخططات الحضرية للأحياء السكنية، مع الاعتماد على الخبراء والمختصين.

8. قائمة المراجع:

1. أنتوني غدنز. (2015). علم الاجتماع، ترجمة فايز الصبيّاح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط4، 72.
2. عبد القادر لقعج. (1998). ، تقديم بمجلة إنسانيات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، مجلد 2، عدد 5 ماي، 1993.
3. Abdulkareem Aswad Yaseen. (2013), *The Impact of Strategic Thinking and Organizational Creativity on Tourist Attractions in the Province of Diyala, A thesis submitted to the Council of St Clements University as part requirements of the Doctoral requirements in t.*
4. Amara Hima et al. (2018). The socio-spatial dysfunction of large complexes in Algeria: wayfinding analysis technique by "movement traces" method and

morphological analysis (spatial syntax) by "depthmap" software, urbe. Revista Brasileira de Gestão Urbana (Brazil).

5. Belbahri, A. (2017). Espace public, urbanité et démocratie, p 10. https://www.univ-st-etienne.fr/_attachments/les-formations-en-langues-etranangeres-2-2/Conf.%2520A.%2520Belbahri%2520Mai%25202017-1.pdf?download=true , 2019/07/11, 10:10. p10.
6. Bozian Semmoud. (2009). Appropriations et usages des espaces urbains en Algérie du Nord, Cahiers de géographie du Québec, 53(148).
7. dfgf. (fgf). *gdf. fdg: dfg.*
8. Ely Ane Montmarquet. (2016). *Dynamiques d'appropriation de l'espace public; le cas du quartier des spectacles-mémoire présenté comme exigence partielle de la maîtrise en géographie-université du Québec à Montréal-janvier 2016.p111.p112.*
9. Fabrice Ripoll et Vincent Veschambre. (2005). Introduction L'appropriation de l'espace comme problématique, Norois, V2, N195, 2005, p 2. Online <https://journals.openedition.org/noroi/477>.
10. Farid Marhoum. (2009). Du projet de développement au développement durable: où est la ville?, Collectif, Aménagement urbain et développement durable, Oran, CRASC/ANDRU, 2009, p157. 157.
11. Habraken N. J. (1998). Habraken N. J, The Structure of the Ordinary. Form and Control in the Built Environment, MIT Press, Cambridge, Massachusetts, 1998, p 359, Adapted.
12. <http://site.iugaza.edu.ps>. (s.d.). <https://cutt.us/RXIAo> visit 2019/07/18, 19:17, p1, Adapted.
13. Jean-Marc Fournier, G. C. (2005). , « L'appropriation socialement différenciée de l'espace urbain de Maracaibo (Venezuela) », Norois, V2, N195, 2005, p 2. Online <https://journals.openedition.org/noroi/501>.
14. Lucie TORTEL. (1998). *Une autre lecture de l'espace public:les apports de la psychologie de L'espace-Interventions réalisées sur ce thème lors de l'atelier*

«*perception de l'espace*– Ministère de l'Équipement, des Transports et du Logement– Centre d'études sur les.

15. Mohamed Ghomari. (2001). « La logique symbolique de l'appropriation de l'espace public limitrophe », *Insaniyat* 14–15, 2001, p63.
16. Mohammed said lakabi et nadina Djelali. (2014). – Les modes d'appropriation et d'usage des espaces urbains dans la ZHUN sud de Tizi-Ouzou. De l'improvisation aux logiques individuelles– *Insaniyat Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales*– 54 | 2011 :–.
17. N. SEMMOUD. (2001). *Les stratégies de l' appropriation de L'espace à Alger* – Préface de Jean–Pierre FREY– L'Harmattan France–2001–p29–38.
18. Nora Semmoud. (2007). *Habiter et types d'habitat à Alger, Autrepart (42), 2007, p163–180.*
19. Paulet Jean pierre. (2006). *Géographie urbaine.*, (C. U. Armand Colin, Éd.) Paris.
20. Pierre Bergel. (2005). Appropriation de l'espace et propriété du sol, L'apport du droit immobilier à une étude de géographie sociale, *Norois*, V2, N195, 2005, p21. En Ligne <https://journals.openedition.org/norois/479>.
21. Stéphanie Bauregard et autres. (2012). Stéphanie Bauregard et autres, Contribution scientifique et technique sur la notion d'appropriation dans les opérations d'aménagement durable, Coordination et mise en forme : Pôle EcoQuartiers CETE de l'Ouest ,2012, p 12, Adapted.
22. Unies, R. p. (2015). DOCUMENTS DE TRAVAIL D'HABITAT III, l'espace public, un groupe constitué d'agences et programmes de l'ONU contribuant conjointement à l'élaboration du Nouveau Programme pour les villes, New York, 31 May 2.